فلسطينيات :

قصـــــة فتاة ... !

للأستاذ نجاتى صدقى

قيل لى إن فى الدار فتاة تحمل رسالة إلى ، وتود مقابلتى ... فتوجهت إليها ، فوجدت نفسى أمام فتاة فى العشرين من عمرها ، مكتنزة الجسم ، « مبتسمة » العينين ، وشعرها أسود كثيف ، ووجهها لايحمل المساحيق، فهو بطبيعته ناصع البياض ، وخدّاها وردّيان يملوهما القليل من البُشر ، المعروف بين الناس بـ (حَبّ الصّبا) ، وقد عصبت رأسها بمنديل حريرى ملوّن ، ولبست ثوبا قصيراً ، وكانت ساقاها عاريتين ، وتحتذى حذاء صيفياً .

دعوت الفتاة إلى غرفة ربة البيت ... وبعد أن تبادلنا التحية ناولتنى رسالة ففضضتها ، فكانت من صديق محام يقول فيها :

« أخى العزيز ...

... وحاملة هذه الرسالة هى الآنسة سلمى لَيّان من سرباط الجليل ، وهى فتاة تحب الغناء ، وأعتقد أن لها صوتاً جيداً فهل لك أن تساعدها فى إبراز مواهبها ... ؟

خذ بيدها ، ولك عند الله الأجر والثواب » (...)

ودار بينى وبين الفتاة الحوار التالى :

— ألك أهل فى هذا البلد ؟

— كلا ... وهذا أول عهدى بالمدينة ... !

— وكيف تأتين بمفردك إلى مدينة ليس لك فيها أهل تلجئين إليهم ؟ ...

— سأعود اليوم إلى بلدى بعد أن آخذ ردك .

— غير أن ما تطمحين إليه لا يأتيك على وجه السرعة ، يجب أن تنتظرى بعض الوقت .

سأنتظر إذا ما رأيت فى الأفق بارقة أمل ...

— وكيف تؤمنين معيشتك إلى أن تبلغى مأربك ؟ ...

— أقوم بأى عمل كان ... خادمة فى بيت ... أو ممرضة فى مستشفى .

— وأهلك ؟

وما يهمنى أهلى ! ... أريد أن أكون فنانة ... إن صوتاً يهمس فى أذنى دائماً : قومى أيتها الفتاة ، واطرقى أبواب الاستديوهات ، والاذاعات ، والفرق الموسيقية . إنك ستكونين مطربة كبيرة ، أو ممثلة بارعة ... مارسى الآن الفن فى هذا البلد الصغير ، ومتى بزغ نجمك فارحلى إلى مصر التى تقدر المواهب والعبقريات ...

— وهل تحملين رسالة إلى أحد غيرى فى هذه المدينة ؟

— أجل أحمل رسالة إلى حميد افندى صَبّاره مدير ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى ...

— عجباً ... إننى أدرى بهذه المدينة ومؤسساتها الفنية ، ولكنى لم أسمع قط بأن فيها ستوديو للتمثيل السينمائى ! ...

— كيف لا ... وقد تلقيت من هذا الاستوديو لائحة التوظيف وطُلب منى تعبئتها ، ثم دُعيت للحضور إلى المدينة ، كى نشرع بالمفاوضة ... وإليك صورة من تلك اللائحة إن كنت تود الاطلاع عليها ...

عقلا يستمسك بالفضيلة ويمشى أينما اتجه فى حمى حارس قوىّ هو الضمير ، وتلوذ السيدة بالأيمان ذى العين البريئة وبالأمل ذى اليد البيضاء ، وبالعفة الملك ذى الجناحين الذهبيين الذى لا يقهر ، وتعوذ بهؤلاء أن يدرأوا الأذى عن حياتها وعن شرفها .

ثم تغنى العذراء أنشودة جميلة توجهها إلى إكو[1] تسألها عن أخويها قائلة « إيه يا إكو الحلوة يا أجمل عذراء ، أنت يا من تعيشين خافية فى قوقعتك الهوائية . يا من يطيب لك أغنية البلبل الحزينة يرفعها إليك متوجداً فى لياليه على ضفة ميندر[2] الخضراء وفى واديه الموشى بالبنفسج ؛ أيتها العذراء ألا تدلينى على اثنين جميلين أشبه ما يكونان بفتاك نرجس ؟ أو إذا كنت أخفيتيهما فى كهف من كهوف الزهر فدلينى عليهما يامَلِكة الرَّجْع ويا ابنة قبة السماء ، ولئن فعلت لأدعون لك أن تبلغى السماوات فتكونى هناك الصدى الجميل الرشيق لكل ألحان الجنة » .

(يتبع) الخفيف

---

(١) إحدى عذارى الجبل فى الميثولوجيا الأغريقية أحبت شاباً جميلا اسمه نرجس أو قد ذابت توجداً عليه حتى لم تعد إلا صوتاً . ومن هذا الاسم كلمة Echo الانجليزية ومعناها الصدى .

(٢) نهر فى آسيا الصغرى شهر بالتواءاته الكثيرة .

وقرأت فيها :

« حضرة الآنسة سلمى ليان المحترمة .

تحية وسلاما ، وبعد ، تلقينا كتابك الذى تطلبين فيه الانضمام إلى ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى ... ويسرنا أن نحيطك علماً بأن الهيئة الإدارية للستوديو نظرت فى طلبك ، ورأت قبل مفاوضتك أن تتلقى منك أجوبة على الأسئلة التالية : هل تحبين الرياضة ؟ ... أتركبين الخيل ؟ ... أتسوقين السيارة ؟ ... أتسبحين ؟ وأى نوع من الرقص تحسنين : الشرقى أم الغربى ؟ ... وهل أنت اجتماعية فى حياتك العامة ؟ ... أتعزفين على آلة ما ؟ ... أتحبين الغناء ؟ ... وإن كنت تغنين فهل صوتك من درجة سوبرانو أم آلتو ؟ ... وإلى أى ناحية من الطالعة تميلين ... الرواية — القصة — الشعر ؟ ...

نرجو إعادة هذه اللائحة بعد الإجابة على ما جاء فيها من أسئلة ، مرفقة بثلاث صور لك فى أوضاع مختلفة ، الأولى نصفية تتطلعين فيها بكامل وجهك ... والثانية تمثل جانب وجهك ... والثالثة تبين هيكلك بأجمعه ... ونأمل أن تأتى هذه الصور بعيدة عن التكلف ، ومشبعة بالروح الرياضية .

وتفضلى بقبول الخ ... إدارة ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى

ثم تابعت الفتاة حديثها قائلة : وذهبت فى ذلك اليوم إلى ستوديو الزهرة فوجدته غرفة صغيرة تحتوى على طاولة ، وتلفون وملفات ، وأريكة كراسى ، ومتكأ ، وصور لجميع ممثلى هوليود ، وكان حميد افندى منهمكا فى دراسة بعض الأوراق يدخن ويشرب القهوة ... ولما عرفته بنفسى ، ورأى أمارات الدهشة بادية على محياى اضطرب وقال : المعذرة أيتها الآنسة ، إننا نشغل هذه الغرفة مؤقتاً الآن إلى أن يتم بناء الستوديوهات ... نرجو ألا يزعجك ذلك ... فالفنانة يا آنستى لا تعير مثل هذه التوافه اهتماماً ... الأيام أمامنا ، وكل شىء مع الصبر جميل ... أتعرفين كيف بدأ ستوديو مصر عمله ؟ ... لقد كانت حالة مؤسسيه مثل حالتنا تماماً ، استأجروا فى بادىء الأمر غرفة فى شارع كلوت بك ، ثم نهضوا شيئاً فشيئاً إلى أن بلغوا درجة الكمال. تصورى أن الممثل السينمائى استهل حياته فى ستوديو مصر بعشرة جنيهات فى الشهر ، وهو يتقاضى اليوم خمسة عشر ألف جنيه لاشتراكه فى فيلم من الأفلام ... التضحية يا آنستى هى مفتاح النجاح والسعادة ...

هيا ضعى يدك فى أيدينا ، وقولى توكلت على الله . نحن عشاق فن مثلك ، ومبتدئون ، تشجعى واعملى معنا ... لا تجعلى المال رائدك الآن . وثقى بأنه سيأتى عليك يوم ترفلين فيه بأثواب السعادة والهناء ، وستنشر صيتك فى كل أقطار العرب ، وسيصير لك معجبون ، وسترد لك الرسائل من كل حدب وصوب تحمل لك عبارات الثناء والإطراء ، والكل يطلب رسمك أو توقيعك ، وأنت لا تبخلين عليهم بذلك مطلقاً ... وإذا ما خرجت بسيارتك وقف الناس على جانبى الطريق يهتفون لك وأنت توزعين عليهم الابتسامات ذات اليمين وذات الشمال !

هيا يا فتاتى شمرى الردن عن ساعد الفن ! ... أما شروط الإتفاق فستكون مدار حديثنا هذا المساء على مائدة العشاء .

وتركت حمدى أفندى على أن أعود إليه ...

قلت لسلمى : أيتها الفتاة ، احذرى المدينة ، ولا تغرنك مظاهرها ، فهى أشبه بالمستنقع الذى تنمو على سطحه الحشائش الطرية الرقيقة ، وأزاهير النيلوفر والأقحوان ، فيظنها الإنسان مرتعاً من مراتع أمنا الطبيعة ، فينطرح عليها طالباً متعة النفس وراحة الجسم ، فاذا بالأزاهير تنوص ، وبالحشائش تزول ، ويظاهر مكانها حمأ أسود تنبعث منه رائحة المياه الآسنة ، وهيهات للانسان أن ينجو من براثنه ، فهو كلما حاول الافلات من الحمأ تشبث به وامتصه قليلا قليلا حتى يختفى تماماً .

قالت الفتاة : إننى لا أفقه شيئاً مما تقول ، جئت المدينة لأكون ممثلة أو مطربة وأنت تحدثنى عن المستنقعات ! ... أتشك فى حسن صوتى . أأغنى لك (أيها الراقدون) أم (أضحى التنائى) !

قلت : ما هذا الذى تقولينه أيتها الفتاة ؟ ... نحن لم نعتد أن نرى فتياتنا يتركن بيوتهن ليطرقن دور الفن ، فالطربة عندنا تكتشف صدفة أن صوتها جميل ... هلا أطلعتنى على حقيقة أمرك ؟ ... أفصحى القول ، واسردى علىّ قصتك ...

ارتبكت سلمى ، وامتقع وجهها ، وطأطأت رأسها قليلا ، وروت لى مأساتها ، ومفاد هذه المأساة أن قلبها مال إلى شاب من شباب الحى لكن أهلها منعوها من الاتصال به ، وهددوها